الآداب
المجلد:22، العـــدد:01، ديسمبر 2022
الصفحات: 229-245 ISSN 1111 -4908 EISSN 2588 -2228

إستراتيجية التّأويل التّداولي في التخييل التّاريخي
"رواية بعد أن صمت الرصاص" لسميرة قبلي

The strategy of pragmatic interpretation in historical fiction "after the bullets were silent" by Samira Kabli

ط.د. نسيمة ساحي [1]
أ.د. حياة أم السعد [2]
[1] جامعة الجزائر 2-الجزائر، nassima.sahi@univ-alger2.dz
[2] جامعة الجزائر 2-الجزائر، hayet.oumssad@univ-alger2.dz

تاريخ الإرسال: 2022/06/15 تاريخ القبول: 2022/11/02 تاريخ النشر: 2022/12/15

ملخص:

تعدّ التّداولية حقلا علميا خصبا ومتجدّدا، فهي تسعى لدراسة المعنى الذّي يقصده المخاطب قصد إيصاله للقارئ عبر آليات وإجراءات أساسية تساعده للوصول إلى المعاني غير المباشرة التّي قصدها المتكلّم، أهمّها "التّأويل التّداولي" باعتباره بعدا أساسيا في المقاربة التّداولية.

لإبراز أهمية التّأويل التّداولي في قراءة المتون الروائية واستنباط مضمراتها تمّ اختيار رواية "بعد أن صمت الرصاص" للروائية سميرة قبلي ومن هنا يمكنّنا طرح الإشكال التّالي: كيف يتوصل القارئ عبر البعد التّداولي التّأويلي لفهم المقولات والخطابات والوصول إلى المعاني والمقاصد الضمنيّة التي تحملها الرواية؟ كيف يتم تأويل المقاطع التاريخية المختارة لاكتشاف المسكوت عنه؟

كلمات مفتاحية: التّداولية؛ الخطاب التّاريخي؛ التّأويل؛ المسكوت عنه.

Abstract:

Pragmatics is a fertile and renewable scientific field. It seeks to study the meaning intended by the addressee in order to convey it to the reader through basic mechanisms and procedures that help him to reach the indirect meanings intended by the speaker, the most important of which is "the pragmatic interpretation" as an essential dimension in the pragmatic approach.

To highlight the importance of pragmatic interpretation in reading the novelistic texts and deducing their implications, the novel "After the Bullets were silent" by the novelist Samira Kabli was selected. From here, we can state the following problem: How does the reader understand, through the pragmatic

المؤلف المراسل: نسيمة ساحي.

interpretive dimension, the sayings and discourses and reach the implicit meanings and intentions that the novel carries? How does the interpretation of the selected historical passages happen to discover the unspoken?
Keywords: *Pragmatics - historical discourse - interpretation - the unspoken*

مقدمة:

تتعالق رواية "بعد أن صمت الرصاص" لسميرة قبلي بين التّاريخي والتّخييلي، بين ما هو ماض وحاضر؛ حيث حاولت الرّوائية أن تعيد للتاريخ جدواه بتمرير بعض الخطابات التّاريخية على لسان شخصيات تخييلية استحضرتها لترسل العديد من الرسائل المشفرة والمقاصد التي لا بد أن يصل إليها القارئ الحصيف، الذي وإن لم يعش المرحلة، فسيكون قادرا على الوصول إلى المضمرات إذا اتكأ على ما تمنحه المقاربة التداولية بآلياتها الإجرائية المتنوعة خاصة منها "التّأويل التّداولي" الذي يسمح باستنباط واستنتاج المعاني المضمنة عبر السّياق والكفاءات اللّغوية والتّداولية والافتراضات المسبقة، وعليه نطرح السؤال التالي: كيف يسهم التّأويل التّداولي في استنباط الأقوال المضمنة في التخييل التّاريخي رواية "بعد أن صمت الرّصاص" لسميرة قبلي ؟، وماذا نقصد بالتخييل التاريخي؟

1-التخييل التاريخي:

سنقف بداية على ماهية "التخييل[*] التاريخي" عند عدد من النقاد والدارسين، خاصة عند من اشتغلوا على مفهومه في علاقته بالتاريخ[**]، وفي هذا السّياق يعرف عبد الله إبراهيم "التّخيل التاريخي" بقوله:" أنّه المادة التّاريخية المتشكلة بواسطة السرد، وقد انقطعت عن وظيفتها التوثيقية والوصفية وأصبحت تؤدي وظيفة جمالية ورمزية، فالتخيل التاريخي لا يحيل على حقائق الماضي ولا يقررها ولا يروج لها، وإنّما يستوحيها بوصفها ركائز مفسرة لأحداثه، وهو من نتاج العلاقة المتفاعلة بين السرد المعزز بالخيال، والتاريخ المدعم بالوقائع، ولكنه تركيب ثالث مختلف عنهما"[1]، فالتخيل التاريخي هو مزج بين السرد والتّاريخ؛ حيث ينقطع عن عمله الوثوقي إلى النسبي بغية تفسير أحداثه.

وقدمت آمنة بلعلى اجتهادا آخر في حديثها عن التّخييل التّاريخي التي ربطته بتأويل التّاريخ، حيث ترى أنّ التخييل التاريخي "ينجح فيه الرّوائي إلى تخيل أحداثه تاريخية ممكنة في إطار تاريخي

حقيقي، فالحكي ينطلق من كليات المادة التّاريخية، والتّخيل ينشغل بإنتاج ما يملأ داخل الإطار من تفاصيل وجزئيات، فالتّاريخ هنا يبدأ حتى تنتهي الرّواية"[2]، من خلال القول نلمح حديث الباحثة عن عملية الإنتاج التي يضطلع بها التخيل نتاج تفاصيل وأحداث محتملة بالرغم من بقاء التّاريخ بحوادثه إجراء تصنع وثوقية النّص الذي يتجاوزها إلى توليف أحداث محتملة وهو الجانب الجمالي الأدبي في التخييل التاريخي، وهو ما يمنح الرواية جمالية في استحضارها للتاريخ.

وكما أن أيضا مقالنا يطال آلية إجرائية نستحضرها للوصول إلى مضمرات توظيف التخييل التّاريخي في الرّواية، نقف على مفهوم التّأويل التداولي، لنضع القارئ في سياق استعماله وجدوى هذا المصطلح وأهميته، خاصة أنّه مصطلح مهم يقودنا إلى فهم بعض مقاصد الرّوائية، فماذا يقصد بالتّأويل التّداولي؟ وماهي كفاءات المؤول ليستطيع القيام بعملية التّأويل التداولي؟

2-التّأويل التّداولي:

يرى الباحث امبرتو إيكو (**Umberto Eco**) في كتابه "القارئ في الحكايةّ "أنّ التّأويل بعد أساس من أساسيات التّداولية فـ: "عند تأويل أي نص، إنّما يعزي وبشكل أساسي إلى عوامل تداولية"[3]، بمعنى أنّ أي خطاب عند البحث في مضمراته ومعانيه ومقاصده علينا الاستعانة بالتّأويل، الذي يعده بعدا تداوليا، فإيكو ربط التّأويل بالعوامل التّداولية التي تشترط عناصر مهمة لابد من المرور عليها، مثل الافتراضات المسبقة*** والاستدلال**** والمحيط المعرفي والاستلزام*****

ويرى فان ديك (**Teuna van dijk**) أنّ التّأويل التّداولي: "أمر تخميني؛ حيث قدم لنا مثالا يقول" عندما أشاهد شخصا يحرك قلما على طرف من ورقة ما؛ حيث أنّ الوجه الأبيض لهذه الورقة يكون في جزء منه قد اختفى بخطوط سوداء، فمن الجائز أنْ أقول إنّ هذا الشّخص يكتب، وهو كاتب وأنه موقع وثيقة ما، وأنه في حال تقدير شراء منزل ما، وأنه بذلك جاعل إمرأته في حال السعادة وهكذا دواليك..."[4]. فهذا المصطلح يعدّ أمرا ذهنيا فكريا يحتاج إلى تشغيل العقل للتأويل وذلك عن طريق السّياق والآليات التّداولية*****.

ويعرف وئام الحيزم التّأويل التّداولي باعتباره: "إدراك المعاني الخفية انطلاقا من المعاني الظاهرة بما تحمله النّصوص من غموض ورموز وتناقض، ويستدعي التّأويل التّداولي لفك هذه الرموز واستخلاص معانيها المؤولة وراء المعاني الأولى"[5]، إذ ترى التّداولية العرفانيّة أنّ اللّجوء إلى التّأويل لا يرتبط بغموض العبارة، ويمكن للجملة أن تكون واضحة وتحتاج إلى تأويل ليستنبط الخفايا الموجودة بين السطور.

كما يرى فرانسوا ريكاناتي(**François Recanati**) في كتابه "المعنى الحرفي" أنّ التّأويل التّداولي: "يلعب دورا مهما في تحديد مضمون الجملة الملفوظة، كما أنه يملأ الثغرات الموجودة بين السّطور ومن خلاله نجد تحديدا مسبقا لقيم العبارات غير المحددة دلاليا"[6]، وعليه فالتّأويل التّداولي يتجاوز المعنى المنطوق والمباشر الموجود على سطح النّص إلى المعنى المضمر المتخفي بين السّطور، فتكمن مهمة البعد التأويلي التداولي الوصول إلى الفجوات والثغرات الموجودة بين السطور وذلك عبر آليات ذكرناها آنفا، وكفاءات يحملها المؤول/ القارئ.

أ-كفاءات المؤول:

كي يستطيع المؤول القيام بالتّأويل تداوليا عليه أن يكون محملا بكفاءات تمكنه من استنباط المضمر الموجود بين السطور أهمها:

الكفاءة الموسوعية: حسب كاترين كيربرات "تمثل خزانا رحبا يضم معلومات خارجية تعبيرية أدائية تتناول السّياق، أو باعتبارها مجموعة معارف ومعتقدات"[7]، فهي تتعلق بالمعارف المشتركة السابقة التي يكتسبها الفرد عبر تجربته الفردية أو يستفيدها من مكتسبات التجربة الجماعية. وكما تحدث عنها امبرتو إيكو في "كتابه القارئ في الحكاية" الذي اعتبرها مستوى من مستويات التعاضد النصي، إذ يقول "على القارئ أن يلجأ إلى هذا المستوى الفرعي، أي أن لا يقرأ بمعزل عن الاختبار الذي يتولد لدى القارئ من مقاربته نصوصا أخرى، فإن القارئ يقارب النّص انطلاقا من منظور ايديولوجي شخصي يقدم جزءا من موسوعته، إذ يقتضي من القارئ نموذجيا متوفرا على كفاية

ايديولوجية معطاة"[8]، يجب على القارئ أن تكون لديه كفاءة موسوعية لتغطي الموضوع الذي يقرأه ليستطيع التّأويل والولوج والتعمق داخل نص أو خطاب ما.

الكفاءة التّداولية: يعني امتلاك نوعين من المعارف، معارف متعلقة بواقع الحال وملابسات التخاطب وهي معارف موازية، ومعارف متعلقة بواقع التجربة الإنسانية وهذه معارف سابقة"[9]. ،.وكما جاء في معجم أكسفورد للتداولية "ليان هوانغ" عن الكفاءة الموسوعية الذي يراها أنها "أحد أوجه الكفاية اللغوية، وهو يشير إلى الجهاز أو النظام المعرفي الذي يمتلكه مستعمل اللغة لكي يكون قادرا على استعمال الوسائل اللغوية، لكي يحقق الغايات اللغوية، وتتضمن المكونات الأساسية للكفاية الفعلياتية نظاما معرفيا حكم إصدار الأفعال الكلامية والتلويحات الحوارية واستيعابها"[10] هاتان الكفاءتان هما اللّتان يحتاجهما المؤول ليستطيع تأويل النّص تأويلا تداوليا، للوصول إلى المقاصد والمعاني المضمرة والمسكوت عنها المتخفية وراء المعنى الحرفي والمباشر.

ب–وسائل التّأويل التّداولي:

هناك عدة وسائل تأويلية تداولية على المؤول اتباعها للوصول إلى مابين السطور وهي كالآتي:

التوسيع(**l'expansion**) ****: إنّ المؤول يلجأ إلى التوسيع في نوعين من الخطابات:

–الجمل التي تحتوي على حذف واجب

ـ الجمل التامة التي يراد من ورائها معنى آخر أكثر اتساعا من معناها اللغوي وهو ما يمكن تسميته بالمعنى التّداولي، ويتحقق التوسيع إمّا باللجوء إلى الافتراضات المسبقة أو إلى المعرفة اللّغوية المشتركة بين الطرفين أو باللجوء إلى السياق المقامي الذي يساعد المؤول التّعرف على ذلك المعنى التداولي، وكما يعرفه جيرار جنيت في كتابه (**Palimpsestes**): "أنه الإطالة والإسهاب في خطاب ما"[11].

وحسب يان هوانغ "أنه عملية فعلياتية افترضها الفيلسوف الأمريكي باخ كنت، لإضافة التفصيلات وتوسيع القضية الأدنوية وإن كانت تامة، وبذلك تتولد قضية مثراة فعلياتيا وهي تطابق ما عناه المتكلم بصورة مقصودة"[12].

التكميل: (**completion**)يعدّ التّكميل مستوى من مستويات التّأويل التّداولي إذ:" يعتمد على السّياق في الوصول إلى معنى الكلام وبعبارة أدق لاعتماده على السياق لتحديد الكلام الناقص المحذوف الذي به يتضح قصد المتكلم، في الجمل التي تحتاج إلى تكميل"[13]، إذن الجمل التي لا نفهم معناها هي جمل غير كاملة، تعتمد على السياق للوصول إلى المعنى الناقص عن طريق ما هو بيّن وظاهر، إلا أنّ ما نلاحظه أنّ اهتمام التّداوليين انصب فقط على النوع الأول من الوسائل، ذلك، لأن التّداولية تهتم بالمعنى المتخفي أكثر من المعنى الظاهر.

هذا أهم ما جاء في "التّأويل التّداولي" باختصار وهو ما سيساعدنا لقراءة الرّواية المختارة والبحث في مضمرات توظيف التخييل التّاريخي في رواية "بعد أن صمت الرّصاص".

3-التّأويل التّداولي وكفاءات المؤول لاستنباط التّخييل التّاريخي في "رواية بعد أن صمت الرصاص" لسميرة قبلي[****]:

تحمل رواية "بعد أن صمت الرصاص" العديد من الأحداث التّاريخية المسكوت عنها بطريقة ضمنية وغير صريحة، على المؤول/المتلقي إماطة اللثام عن هذه الرّسائل المشفرة التي يمررها الرّوائي عبر متنه الأدبي، باستحضار الأبعاد التّداولية "كالتّأويل التّداولي"، فالمؤول يصل إلى مضمرات النّص عن طريق الكفاءات اللّغوية والموسوعية والافتراضات المسبقة أي الخلفية المعرفية والإلمام بالسياق التّاريخي، والنبش في السّجلات السياسية والتّاريخية.

تحضر الكثير من المقاطع التّاريخية في هذه الرواية استدعاها الكاتب لِيُدلل على بشاعة المجازر التي ارتكبها الإرهاب "الذي يرمي إلى إثارة الرهبة والرعب"[14]، في حق الجزائريين العُزل دون أي اعتبار إنساني، ففي استذكار السّارد "غزلان" يقول: "ساركوزي أيضا توعد بالقضاء على الإرهاب.

-والتحالف مع الدول الصديقة من أجل ذلك...

-تراها. مجرد وعود انتخابية.

-أم ماذا؟

-التاريخ وحده يبين ذلك

- 11جويلية عملية انتحارية تستهدف ثكنة عسكرية بالأخضرية

-قتلى وجرحى..

-ووطن يذبح حد العظم ووكالات الأنباء كلها تنقل الخبر الطازج...

-كيف يتحمل القلب كل هذه المصائب!

-وكيف يتحمل الوطن كل هذه الخيانة!!

-تصحو مجازر بن طلحة والرايس..." [15].

يُقدم السّارد هذا المشهد الذي يُصور بشاعة الإرهاب والعمليات الانتحارية التي قام بها، ولكن لفهم هذا المقطع لا بد أن يكون القارئ متعاونا مع الكاتب واعيا بالسياق التاريخي لتلك الفترة الحرجة فترة التسعينيات، ويجري تأويلات للوصول إلى دلالات ومقاصد المتكلم، فالمراد بهذا القول ليس المعنى الحرفي وإنّما المعنى التداولي الذي يتحقق بوسيلة من وسائل التّأويل التداولي وهي "التوسيع"، ويقتضي من القارئ أن يمتلك مفاهيم قبلية وهي أنّ الجزائر في التسعينيات مرت بحقبة تاريخية صعبة، سميت "سنوات الجمر أو العشرية السوداء"، وقد يكتسبها المؤول من مصادر تاريخية ككتب التّاريخ كتاب "أبو يحيا زكريا الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر"[16] وغيرها...أو صحفية التي صورت ونقلت أبشع المجازر التي قام بها الإرهاب الفاجر فاستحضار هذا المقطع عن المجازر الإرهابية ليس عبثا وإنّما لهدف يُراد تمريره عبر هذه الأحداث، فالروائية وجهت هذا النّص للقارئ الجزائري الذي يعرف القصبة والأخضرية وبن طلحة، وهي أماكن ساخنة سادها الرعب إبان العشرية السوداء، ذُبحت قرى بأكملها في زمن الخراب، كما جاء في كتاب من قتل بن طلحة – الجزائر وقائع مجزرة معلنة- لنصر الله يوس " أنه تم ذبح أكثر من 400 شخص من أطفال ورجال ونساء، صراخ الضحايا وصوت انفجارات القنابل..."[17] ، ونُكّل بجثث أصحابها وأُحرقت المنازل وسلبت الأرواح عنوة، حتى أصبح الفرد الجزائري يخشى الذهاب إلى هذه الأماكن في عز النّهار.

نلاحظ من خلال الاشتغال على الذّاكرة في هذه الرّواية أنّ الرّوائية لا تفتح الجراح فقط لتخبرنا عما جرى، بل هي تقصد شيئا آخر أيضا لأنّها تريد التأريخ لتلك الفترة كي تبقى عالقة في ذاكرة من سيأتون، وكي لا يطويها النسيان، فلا بدّ للأجيال الصاعدة التي لم تعش هذه النكبة أن تحس بمرارة الفقدان وكارثة الإرهاب، وأن تنتبه كي لا يقعوا فريسة سهلة تحت عمى الإرهاب فالأيام

تدور وقد تُلمُ بنا النوازل مرة أخرى، إلا أنّ عيشنا لتجربة مرة واستحضارها في الأعمال الروائية ينبه أبناء الغد لا محالة بعدم الدخول في صف المرتزقة الذين قلبوا الجزائر رأسا على عقب، استرجعت الكاتبة مثل هذه الذكريات لكي لا يندثر فوقها الغبار ويطويها النسيان بل لتبقى عبرة لمن اعتبر.

ولتُقرب الكاتبة الصورة من القارئ أعطت صوتا لشخصية الإرهابي "مالو" الملقب "أبو طلحة" ليتكفل بنقل حدث تاريخي شائك مضمر كامن خلف تلك المفترضات والتّلميحات***** والكفاءات الموسوعية والتداولية والمنطقية عن طريق المقطع الرّوائي، تاركة المؤول يعيد النظر في آرائه ونظرته لشباب جيل التسعينات وتفكيرهم المتعصب باسم الدين، ففي حديث "مالو" الملقب "أبو طلحة" يحكي صعوده للجبل، وكيف عارضه والده "مختار" ونقل ما دار بينه وبين والده من حوار، يكشف عدة خبايا ومضمرات على القارئ تأويله: " ستترك دراستك في الجامعة من أجل جماعة تبيع الموت!

-أنا مقتنع بما أفعل!

-لقد قررت ...الجهاد ضد الطغاة

-إن الله أمرني بذلك!

-دفع والده بقوة...

-ابتعلته أزقة القصبة...

-اختفى في دهاليزها....

-وفعلا سقط طغاتها"[18]

يستدعي هذا الحوار عددا من المقاصد المتخفية وراء المعنى الظاهري على المؤول استنباطها واستخراجها لفك شفراته وفقا للعملية التّأويلية وذلك بالتمتع بالكفاءة اللّغوية******أولا والقرائن النّصية والإشاريات والكفاءة الموسوعيّة وثانيا يقتضي حضور هذه الأحداث التّاريخية من المؤول، استحضار المعلومات المخزنة في ذاكرته للوصول إلى المعنى الأصلي الضمني، وإن كانت غائبة عن ذاكرته فعليه أن يعيد بناء السّياق التاريخي والعودة إلى ما هو موثق تاريخيا لتلك الفترة ليفهم

مضمرات الخطاب والرسائل المضمنة التي توجهها الكاتبة عبر تقديمها لهذه الأحداث في متنها الروائي.

فاستحضار الكفاءة اللّغوية والمنطقيّة في قوله "لقد قرّرت الجهاد ضد الطغاة"، "إنّ الله أمرنا بذلك"، يفهم منها المتلقي أن الله أمرنا بالجهاد حقا ضد الكفار، ولكن أين هم في تلك الفترة؟ فالأداء اللغوي صحيح في جوهره خاطئ في استعماله، لأن الله أمرك بالجهاد إذا توفرت شروطه وعرفت جيدا عدوك، أمّا أن تدفع والدك وتمضي لتعتقد أنّك تجاهد فهذه مغالطة بيّنة، فالكاتبة ركّزت عليها لتظُهر انغلاق العقل عندما تُعشش فيه الخطابات المتطرفة، ولو استحضر المؤول كفاءة موسوعية وعاد إلى سياق الحقبة لأدرك أن خطابات غريبة غزت عقول شباب تلك الفترة، بسبب الأوضاع الاجتماعية المزرية وانتشار البطالة وانسداد سوق العمل، كلها عوامل هيأت لتولد العنف" الذي يعتبر آلية من آليات الدفاع عن الذات ضد المخاطر التي تواجه الإنسان من أجل البقاء والاستمرار في الحياة"[19] ، فكلّ هاته العوامل أدت إلى عنف غير مبرر في أوساط الشباب خاصة مع وجود بعض الدعاة المرتزقة الذين اصطادوا في المياه العكرة وحولوا مثل هؤلاء الشباب لقمة سائغة في يد الخطابات المؤججة للإرهاب، تلبية لأصوات خارجية عثت فسادا في مجتمعنا، فالإرهاب في الجزائر لم يكن إلا صناعة غربية وجدت تربتها جاهزة لتعصف بالأرواح والوطن.

كما ذهبت الرّوائية في متنها إلى حدث تاريخي آخر أرادت أن تمرر عبره عدة رسائل ومقاصد حاولت إيصالها إلى المخاطب، أسئلة تريد المؤول عبر استخدام كفاءاته الموسوعية الإجابة عنها بطريقة مباشرة، وفي الوقت نفسه تدفعه إلى طرح التساؤلات والتأويلات والكشف عن المغيب ودلالاته متعددة الأوجه للوصول إلى المقاصد والمعاني، التي تريد الإفصاح عنها بطريقة غير مباشرة، وإنما يتوقف عندها المؤول لجعلها تتكلم وتكشف ما في جعبتها، حيث وجهت الرّوائية هذا المقطع والتساؤلات للفرد الجزائري الذي يشترك معها في المعارف والمعلومات التّاريخية المخزنة في ذاكرته، أو التي اكتسبها من المصادر التاريخية والبيئة الاجتماعية والثقافية والتاريخية، فكلّ هذه الكفاءات الموسوعية المشتركة بين المؤلف والمتلقي تساعد المؤول ليدخل في ثنايا القول ويبحث في سطوره ويستدل ويؤول ليصل إلى المقاصد والمعاني المسكوت عنها، المتخفية وراء الملفوظ البيّن والظاهر،

تحدثت الروائية عن المصالحة الوطنية التي قام بها الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة أو كما تسمى "الوئام المدني" مع الجماعات المسلحة، تقول: " نجحت عملية الاستفتاء على ما يسمى بمشروع المصالحة الوطنية بأغلبية الشعب المقهور من سنوات الدم والعذاب والفقر أيضا!

- ولم يشارك فيها أيضا!!
- هل نسامح؟
- كيف نستطيع أن ننسى الخوف؟ الذي سكن هذه الشوارع التي تتعالى فيها الهتافات والزغاريد اليوم...
- هل يُقرر مصير شعب بأكمله عن طريق صندوق خشبي لا ندري هل كان مقفلا أم لا!
- مسكين أنت يا وطني
- دائما يطبخ مصيرك داخل صندوق انتخاب!
- النار مازالت مشتعلة بداخلي"[20]

مقطع يقول أكثر من الكلمات التي لملمته، مقطع سردي يحكي الوجع من داخل كلّ فرد جزائري عاش العشرية وفقد العزيز والغالي ، فقد الأمن والأمان والطمأنينة،، كلّ خارج من الحرب خاسر لا وجود لمنتصر، الكُل مهزوم ومنهزم مهما كانت الغنائم، ماهي غنائم الإرهاب في وطني وئام مدني..، لمحت الرّوائية إلى المتلقي عبر إشاريات وقرائن نصية يستضيفها المتلقي: "لم يشارك أيضا، هل تسامح؟، كيف تنسى الخوف؟"، فكل هذه الملافيظ عبارة عن تلميحات غير مباشرة، يتبين أنّ جُلّ الشعب رفض رفضا تاما لهذه المصالحة الوطنية، التي لم تشف غليل وجروح وآلام الجزائريين، فالكاتبة استعانت بمجموعة من الأقوال الضمنية لتوضح مدى حسرتها على الوطن وإلى ما آل إليه، حتى أسلوب الكتابة كان يحمل الوئام المدني في كفن سيدفن في صندوق الانتخاب آلام كل من طالبوا بالقصاص في حق أبنائهم وأزواجهم وأسرهم التي قتلها الإرهاب، ولكن هل كان يمكن أن نحاسب القتله؟؟؟ من هم القتله الأخ والعم والخال والأخت...هل هؤلاء هم القتلة أم أولئك المتخفون خلف أقنعة السلام من جروا وطننا للخراب هم السفلة من وراء البحار ينامون على

جثث أوطاننا، كان لا بد من وئام مدني يوقف النزيف لنمر إلى زمن آخر وإرهاب من نوع آخر بدون جثث ولا قتلى...

لم تبق الرّوائية داخل الحدث التاريخي الجزائري بل كتبت عن الإرهاب الدولي أيضا لأنّ اليد واحدة، ما يفعله الصهاينة في الشرق الأوسط امتد إلينا، لا تقولها الكاتبة صراحة لكن الأحداث تتناسل ومضمرات الخطاب تقول هذا، والقارئ الحصيف يفهم بكفاءته الموسوعية أنّ يد الإرهاب طويلة، هناك من يقتص منها أمام فشل الحكام وسياسات دولية جائرة :

-" نصر الله غسل عار بيروت وحده.

- وهزم إسرائيل وحده.
- ومظفر النواب يبكي دمعة وحده، بعد أن استنفذ حبره...
- ويعريهم ... يعري العرب....
- نشرات الأخبار كلها تنقل الحدث....
- بغداد تحترق.
- وتمثال صدام وسط بغداد يهوى.
- يسقط....
- ربطوه بالحبل... وهاهم يجروه على الأرض!
- لا أحد يقول لا أمريكا
- وحده صدام يدفع الثمن
- أضحية العيد
- المحاكة تمت في العراق...
- والحكم في أمريكا....!
- هل هناك حاكم عربي يملك الجرأة ويقول هذا حرام....
- الزعامات العربية كلها اختبأت وراء وكالات الأنباء...التي نقلت بدورها وراء كلمة...وزارة الخارجية للدولة الفلانية "تأسف" عن اختيار مثل هذا التوقيت....

- أين العرب!!
- سأكتب عن ماذا؟"[21].

أليس هذا هو الإرهاب نفسه الذي خرّب وطننا يُخرب بغداد بمواثيق دولية جائرة ومحاكمة لم تكن إلا لتعزز حضور أمريكا في المنطقة لتستنزف خيرات هذا البلد؟؟، نلاحظ إذا أنّ الكاتبة تومئ بهذا دون تصريح لكن القارئ/ المؤول يستطيع إدراك هذا عن طريق التّأويل والاستقراء، للوصول إلى ما يحتمل تضمنه من خلفيات مسكوت عنها في خطاب الروائية، معتمدا في ذلك على المخزون المعرفي والمعلومات الخفية والكفاءات النصية واللغوية ففي قولها " بغداد تحترق، وتمثال صدام يسقط، لا أحد يقول لا أمريكا، أين العرب" ، كلّ هذا عبارة عن تلميحات وافتراضات وقرائن ضمنت معاني ومقاصد على المؤول الاستدلال عليها واستنتاجها عن طريق "التّأويل التّداولي"، فصدام حسين بعدما كان رئيسا ذو شهامة وفخامة أصبح أضحية العيد، ولكن ما أرادت الرّوائية أن تقصده أن حكام العرب لم يتجرؤوا على إيقاف هذه المهزلة وخاصة أنّه يوم عيد ديني إسلامي، فهم لم يمنعوا أمريكا من هذه الفعلة الشنيعة، لأن السياسة الأمريكية تنتهج النهج نفسه مع كل من يقف في طريقها والشيء نفسه فعلته مع سوريا خلقوا عندها الإرهاب وخلقوا داعش في الشرق الأوسط كي يستفرد الصهاينة الطغاة بالقدس كله وفلسطين الأبية.

خاتمة:

في ختام هذه القراءة التّداولية لرواية "سميرة قبلي" أشير أن القلم الشبابي الجزائري يحاول أن يعبر بطريقته الخاصة عن جروح غائرة في أعماق الوجدان العربي والوطني، ليحفظ للتاريخ ما عليه ولكي يتفاعل القارئ مع هذه النصوص عليه أن يلم ببعض الأدوات الإجرائية التي يمنحها الدرس التداولي ليضيف للنص جدواه بالوقوف على المضمرات التي هي جوهر النص، فالكاتب لا يستطيع أن يصرح بكل ما لديه بل يحتاج إلى قارئ حصيف يتعامل معه ويخرج مكنونات النص، وكما يقول إيكو النص آلة كسولة تحتاج إلى من يعضدها، والمعضد هو القارئ/ المؤول النهم الذي تهمه مضمرات النّصوص أكثر من ظواهرها.

وأهم النتائج التي توصلنا إليها عبر هذه الدراسة:

- وجود علاقة بين الرّواية باعتبارها تخييلا والتّاريخ باعتباره واقعا؛ حيث يكون بإمكان الرواية إعادة كتابة التاريخ بطريقة فنية.
- إنّ التخييل التاريخي هو مزج بين التاريخ والسرد، واستعمال التاريخ لم يكن بغية التّوثيق وإنما بغية قراءته قراءة تأويلية.
- ليؤول القارئ/المؤول تأويلا تداوليا عليه بكفاءات متنوعة تداولية/ موسوعية/ لغوية ليستطيع استنباط ماهو مضمر.
- نلاحظ أنّ رواية "سميرة قبلي" من الرّوايات التي منحتنا معلومات عن حقبة تاريخية، مر بها المجتمع الجزائري وهي سنوات الجمر.
- إن رواية "سميرة قبلي" وظفت التّاريخ لهدف وغاية توصلها للمتلقي أن الجزائر مرت بفترة صعبة في التسعينيات ووظفتها لكي لا يطويها النسيان.

الهوامش والإحالات:

*التّخييل: تعدد مقاربات التّخييل بسبب تطور مجال المناهج والأدوات الإجرائية عند العديد من الدارسين والنقاد كجيرار جنيت، لوران جيني ودورين كون، سعيد جبار وإدريس الخضراوي... من بينهم جيرار جنيت (G.Genette) الذي قام بمناقشة مصطلح التخييل ضمن مفهوم أساسي وعام إذ يعرفه "أنّه اشتغال لغوي وممارسة لسانية، لها خصوصيتها غنه فعل لغوي مرتبط بغاية ووظيفة، وغائية قول التخييل لا تستجيب لأي شرط من الشروط (الصدق والالتزام والقدرة على تبرير جدلية القول"، أي صحة مطابقته لما يحيل إليه، إن الملفوظ التخيلي تنظمه صيغة الإدعاء، إنه زعم وإيهام يدعى مطابقته للواقع أو المرجع".

-Gerard Genette, Fiction et Diction, Edition Seuil, 1991 .

**التّاريخ: التاريخ في أبسط تعاريفه:" حكاية عن الماضي، أو مجموعة الأحداث والوقائع الانسانية التي مضت وانتهت، ولكنها قابلة للتحول والتفكير والتّأثير وهي أحداث ووقائع تترك بصماتها وآثارها في الحاضر والمستقبل، ويسهم في تشكيل السلوك الانساني عامة، والفعل الإبداعي ومنه الأدب خاصة" عزيز شكري ماضي، في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2015، ص. 145.، أما عند واسيني الأعرج الذي دأب على الاستثمار التّاريخ في كتاباته الروائية الذي يعتبره: " المادة المنجزة التي مر عليها زمن يضمن حدود المسافة التأملية بينه وبين تلك المادة" عبد الله إبراهيم، التخيل التاريخي، ص.11.

[1]–عبد الله إبراهيم، التّخيل التّاريخي "السرد والإمبراطورية والتجربة الاستعمارية"، المؤسسات العربة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص.05.

[2]- آمنة بلعلى، الرّواية الجزائرية بين تخيل التاريخ وتأويله، أبحاث في ملتقى الباحة الأدب الخامس، 1433، 2013، ص. 257.

[3]- إمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، الدار البيضاء، 1996. ص. 315.

***الافتراضات المسبقة: يعرفه ديكرو: " هذا المفترض يمثل خلفية معرفية مشتركة بين أطراف الخطاب، محمد ناصر العجيمي، المشهد الآخر في كتابة الذات "رامة والتنين لإدوارد الخراط"، مكتبة علاء الدين، ط1، صفاقس، تونس، 2009، ص. 83

****الاستدلال: هو "عملية تأويلية تتمثل في الربط بين ما يقال صراحة وشيء آخر غير ما يقال". شارودو باتريك ومنغنو دومينيك، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سيناتر، تونس، دط، 2008، ص. 303.

*****الاستلزام: هو "كيف يتنسى لنا أن نعني أكثر مما نقول"، هشام عبد الله خليفة، نظرية التّلويح الحواري، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 2013، ص. 28.

[4]– فان ديك، النّص والسّياق استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي،تر: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا للشرق، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص. 246-247.

******التداولية: هي الدراسة المنظمة للمعنى الذي يعتمد على استعمال اللغة، وموضوعات البحث المركزية في الفعليات تشمل مقاصد المتكلم التواصلية، واستعمال اللغة الذي يتطلب مثل هذه المقاصد، وسياق الاستعمال، والعلاقة بين مستعمل الصيغة اللغوية وعملية

استعمال الصيغة، وكذلك الاستراتيجيات التي يستخدمها المخاطب ليعرف تماما ماهية المقاصد والأفعال. يان هوانغ، معجم أوكسفورد للتداولية، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2020، ص. 515.

[5]-وئام الحيزم، تأويل اللّفظ والحمل على المعنى، كليّة العلوم الانسانية والاجتماعية، تونس، د.ط، 2009، ص.97-98.

[6]_فرانسوا ريكاناتي، المعنى الحرفي، تر: أحمد كروم، دار الكتاب الجديد المتحدة،ط1، بيروت ، لبنان، 2018، ص .100 .

[7]_كاترين كيربرات أوركيوني، المضمر، تر: ريتا خاطر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2008، ص. 285.

[8]- ينظر: امبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، ص. 97-107.

[9]_عبد السلام اسماعيلي، تداوليات التأويل، ضمن كتاب التّداوليات علم استعمال اللّغة، حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديثة، د.ط، اربد، أردن، 2014، ص. 217- 218.

[10]- يان هوانغ، معجم أوكسفورد للتداولية، تر: هشام خليفة، ص. 496.

[11] - G.Genette ; Palimpsetes « La Litterateur Au second deyre» ; Edition du seuil ; 1982 ; p10.

[12]- يان هوانغ، معجم أوكسفورد للتداولية، تر: هشام خليفة، ص. 263.

[13]_ محروس بريك، التّأويل التّداولي التداولية في كتاب سبويه، كتاب مؤتمر الدولي السادس لقسم النحو والصرف سبويه إمام العرب، كلية دار العلوم، د.ط، جامعة القاهرة، ص.1049- 1050- 1054.

[****]تعريف الرّوائية سميرة قبلي: إن الروائية سميرة قبلي شاعرة وروائية من مدنة أزفون شرق الجزائر، ولدت عام 1977، نالت ليسانس في العلوم السياسية، قسم العلاقات من جامعة الجزائر، حيث كان لها شعرية في الشعر في ديوان "إغواءات"، قبل أن تكتب روايتها الأولى "بعد أن صمت الرصاص".

ملخص الرّواية: تعود أحداث رواية "بعد أن صمت الرّصاص" لسميرة قبلي، إلى مرحلة الإرهاب في الجزائر وقضية الجزائر وقضية المصالحة الوطنية، فهي عبارة عن استرجاعات لذكريات أليمة مع الشخصية الرئيسية "غزلان" الصحفي الذي تعرض لمحاولة اغتيال في مسقط رأسه القصبة من طرف إرهابي "مالو" الملقب "أبو طلحة"، الذي أطلق على جسد غزلان رصاصة في الرأس، عاش بها غزلان طوال حياته، ما دفعه للهجرة إلى باريس للعلاج، وهروبا من الأوضاع المتدهورة التي يعيشها، إلا أنّه بقي متعلقا بالجزائر كلّها، وخاصة القصبة التي دائما يسترجع ذكرياته وطفولته وآلامه، حيث تسترجع الرّواية حقبة العشرية السّوداء وجروحاتها والعنف الذي ساد فيها ومجزرة بن طلحة والرايس...إلخ، وتحدثت عن المصالحة الوطنية الذي أعلن "غزلان" رفضه لها، وتحدثت عن الحرب في العراق وبيروت ما يحدث في العالم، فكلّ الرّواية عبارة عن قضايا تاريخية مريرة مرّ بها الشعب الجزائري خاصة، والعالم العربي عامة.

[14]_ إبراهيم الحيدري، سوسيولوجيا الإرهاب والعنف "لماذا يفجر الإرهابي وهو منتش فرحا"، دار الساقي، ط1، بيروت، لبنان، 2015، ص. 31.

[15]_ سميرة قبلي، بعد أن صمت الرصاص، دار القصبة للنشر، ط1، الجزائر،2008، 252- 253 .

[16]- زكرياء أبو يحي، الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، دت.

[17]– نصر الله يوس، من قتل بن طلحة "الجزائر : وقائع مجزرة معلنة"، تر: ميشيل خوري، سوريا، دمشق، 2003، ط1، ص.334.

*****التّلميحات: التلميح في الخطاب عندما يلمح المتكلم لقصد خطاب مناسب لسياق موضوع الكلام ليصل إلى دلالة يستلزمها الخطاب ويفهمها المتلقي الذي يتلقى الخطاب. ثامر عدنان، البعد التلميحي للخطاب الشعري عند أحمد شوقي –مقاربة تداولية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب،المسيلة، ع3،مج 10، 2021، ص.1116.

[18]_ المصدر نفسه، ص. 234 _ 235.

******الكفاءة اللّغوية: تعنى هذه الكفاءة بالعناصر الدالة النصية والسياقية الحالية النصية، كما تترابط فيها شتى أنواع المكونات المعجمية أو النحوية أو النطقية أو الأسلوبية، أي معرفة القواعد الخاصة بهذا الخطاب أو ذاك إلى آخره. كاترين كيربرات أوركيوني، المضمر، ص. 283-284.

[19]_ إبراهيم الحيدري، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، ص. 19.

[20]_سميرة قبلي، بعد أن صمت الرصاص، ص. 44 _ 45.

[21]_ المصدر نفسه، ص. 178 _179 _180.

قائمة المصادر:

1_ سميرة قبلي، بعد أن صمت الرّصاص، ط1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2008.

قائمة والمراجع:

1- امبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، الدار البيضاء، 1996.

2_ إبراهيم الحيدري، سوسيولوجيا الإرهاب والعنف " لماذا يفجر الإرهابي نفسه وهو منتش فرحا"، دار الساقي، ط1، بيروت، لبنان، 2015.

3 – آمنة بلعلى، الرّواية الجزائرية بين تخيل التاريخ وتأويله، أبحاث في ملتقى الباحة الأدب الخامس، 1433، 2013.

4-ثامر عدنان، البعد التلميحي للخطاب الشعري عند أحمد شوقي –مقاربة تداولية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المسيلة، ع3، مج 10، 2021.

5- زكرياء أبو يحي، الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، دت.

6- شارودو باتريك ومنغنو دومينيك، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سيناتر، تونس، دط، 2008.

7-عبد الله إبراهيم، التّخيل التّاريخي "السرد والإمبراطورية والتجربة الاستعمارية"، المؤسسات العربة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2011.

8-عبد السلام اسماعيلي ، تداوليات التأويل، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديثة، ط1، اربد، أردن، 2014.

9- عزيز شكري ماضي، في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2015.

10- فان ديك، النّص والسّياق استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي، تر: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا للشرق، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.

11_ فرانسوا ريكاناتي، المعنى الحرفي، تر: أحمد كروم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2018.

12_ كاترين كيربرات أوركيوني، المضمر، تر: ريتا خاطر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2008

13_محمد ناصر العجيمي، المشهد الآخر في كتابة الذات "رامة والتنين لادوارد الخراط"، مكتبة علاء الدين، ط1، صفاقس، تونس، 2009.

14- محروس بريك، التأويل التداولي في كتاب سبويه، كلية دار العلوم، القاهرة، دط، القاهرة، 2010

15_ هشام عبد الله خليفة، نظرية التّلويح الحواري، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 2013.

16-وئام الحيزم، تأويل اللّفظ والحمل على المعنى، كليّة العلوم الانسانية والاجتماعية، تونس، د.ط، 2009،

17-نصر الله يوس، من قتل بن طلحة "الجزائر: وقائع مجزرة معلنة"، تر: ميشيل خوري، سوريا، دمشق، ط 1، 2003.

18- يان هوانغ، معجم أوكسفورد للتداولية، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2020.

19-Gerard Genette, Fiction et Diction, Edition Seuil, 1991.

20- G.Genette, Palimpsetes «La Litterateur Au second deyre», Edition du seuil, 1982.